

هـ - الفارابي

في العالم الإسلامي وفي أوربا

بتأنيب مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلي



ويحدثنا ابن خلكان عن أسلوب الفارابي في التأليف فيقول (١) «وكان أكثر تصنيفه في الرقاق ولم يصنف في الكراريس إلا القليل؛ فلذلك جاءت أكثر تصنيفه فصولا وتمايق، ويوجد بعضها ناقصا منشورا، وأمل هذا الذي ذكره ابن خلكان هو علة ما وجدته صاحب (التمهيد لتاريخ الفلاسفة الإسلامية) من غموض واضطراب في بعض الأحيان

وهذا أندلسي من القرن السادس الهجري ينسب على الفارابي ويفضله على ابن سينا والنزالي، فقد جاء في عيون الأنباء في ترجمة ابن باجة أن أبا الحسن عليا بن عبد العزيز بن الإمام من غرناطة وكان كاتباً فاضلاً متميزاً في العلوم وصحب ابن باجة مدة واشتغل عليه - إن أبا الحسن هذا قال في صدر المجموع الذي نقله من أقوال ابن باجة الفيلسوف الأندلسي - في العلوم الفلسفية - قال ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفتون التي تكلم عليها من تلك العلوم، فإنه إذا قرنت أقواله بأقوال ابن سينا والنزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر بالشرق في فهم تلك العلوم ودونها فيها - بأن لك الرجحان في أقواله وفي حسن فهمه لأقوال أرسطو؛ والثلاثة أئمة بلا ريب

وكان ابن باجة السرقسطي من رجال القرن السادس الهجري وقد توفي شاباً بمدينة طاس ودفن بها، وكان من جملة تلاميذه ابن رشد. وذكروا في مؤلفات محمد بن باجة تمايق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية (أي، علم المنطق)

فها أنت ترى كيف أن شهرة الفارابي كانت قد طبقت العالم الإسلامي وعبرت البحر إلى الأندلس. وقد ذكر ابن أبي أصيبعة

(١) تلخيص ابن خلكان

في عيون الأنباء في جملة مؤلفات أبي الوليد بن رشد كتاباً فيها خالف فيه أبو نصر الفارابي أرسطوطاليس في كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود

ومن مصر الطبيب ابن رضوان عام ٤٥٩ هـ وكان في عهد الحاكم - تحدث عن كتب المارفين التي يشهد بفضلها ويعتز بها، فذكر كتب أفلاطون وأرسطوطاليس والإسكندر وثامسطيوس ومحمد الفارابي، قال وما انتفع موجود به فيها وما سوى ذلك إما أبيه بأى ممن اتفق، وإما أن أخزنته في صناديق، وببعض أجود من خزنته (٢)

وهذا الشيخ موفق الدين عدنان بن السين زربي كان من أهل عين زربة وأقام ببنداد مدة، واشتغل بصناعة الطب والعلوم الحكيمة وسهر فيها وخصوصاً في علم النجوم، ثم بسد ذلك انتقل من بنداد إلى الديار المصرية وعجز في درلتهم، وكان من أجل المشايخ وأكثرهم علماً في صناعة الطب فيما يقوله ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء - ولقد ذكر له الرسالة المنقذة في المنطق وبين أنه ألقها من كلام أبي نصر الفارابي والرئيس ابن سينا، وقد توفي ابن السين زربي سنة ٥٤٨ هـ بالقاهرة، فهو من القرن السادس الهجري (٣)

ولنفقز الآن قفزة عريضة إلى أوروبا فنسمع دي بورير De Boer في جامعة أمستردام في هولندا يقول في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام) كان الفارابي رجلاً ممن يخلدون إلى السكينة والهدوء وقد وقف حياته على التأمل الفلسفي يطاله اللوك بسلطانهم، ولد في (وسيج) وهي قرية صغيرة حصينة تقع في ولاية قاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر، وقد حصل على علومه في بنداد وقرأ بعضها على معلم مسيحي وهو يوحنا بن جيلان الذي توفي بمدينة السلام في أيام المقتدر، وقد ألم الفارابي في دراسته بالأدب والرياضيات، ويدلنا بعض مؤلفاته ولا سيما في الموسيقى على أنه درس الرياضيات، وتقول الأساطير إنه كان يتكلم بلغات العالم كلها (سبعين لغة) وقالوا أنه من براعته في الموسيقى أضحك الجالسين ثم أبكهم ثم أنامهم وانصرف. ويرى (دي بورير) أن

(٢) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة

بين يديها حائرين ، فقد نقل القفطي في أخبار الحكماء في ترجمة يعقوب بن إسحق الكندي الفيلسوف السري الشهير أنه استدعاه جاره للنظر في ابنه الذي اعترته سكتة فجأة فأجاب وصار إلى منزل التاجر ، فلما رأى ابنه وأخذ بحمسه أمر بأن يحضر إليه من تلامذته في علم الموسيقى من قد أتتم الحدق بضرب العود ، وعرف الطرائق المحزنة والمزججة والمقوية للقلوب والنفوس ، فحضر إليه منهم أربعة فأمرهم أن يديعوا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا في طريقة أوقفتهم عليها ، وأرأهم مواقع النتم بها من أصابهم على الدساتين ونقلها ، فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة والكندي أخذ بحس (نبض) الغلام ، وهو في خلال ذلك يمد نفسه ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئا بعد شيء إلى أن تحرك ثم جلس وتكلم ، وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائما لا يفترون ، فقال الكندي لأبي الولد: سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه ، فجعل الرجل يسأل وهو يخبره ، ويكتب شيئا بعد شيء فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها وفتروا ، فعاد الصبي إلى الحالة الأولى وغشيه السكوت فساله أبوه أن يأمرهم بما كانوا يضربون به ، فقال ههنا ، إنما كانت صباغة قد بقيت من حياته ، ولا سبيل لي ولا لأحد من البشر إلى الزيادة في مدة من قد انقطعت مدته ، وقد كان ذلك التاجر من كبار التجار موسما عليه في تجارته وكان ابنه هذا قد كفاه أمر بيعه وشراؤه ، وضبط دخله وخرجه ، فمرضت لابته السكتة فجأة فورد عاياه من ذلك ما أدهله وتقى لا يدري ما الذي في أيدي الناس وما لهم عليه ، مع ما دخله من الجزع على ابنه فلم يدع بمدينة السلام طبيبا إلا ركب إليه واسترجه لينظر ابنه ويشير عاياه من أمره بملاج ، فلم يجبه كثير من الأطباء - لسكب الملة وخطرها - إلى الحضور معه ، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء ، فقيل له أنت في جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بملاج هذه الملة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب ، فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندي بأحد إخوانه ، فأجاب وصار إلى منزل التاجر بالرغم من أنه كان كثير الأزدراء بالكندي والطمع عليه ، مدنا

الفلسفة التي تدرج عليها الفارابي يرجع أصلها إلى مدرسة مرو ، والظاهر أن أعضاء هذه المدرسة كانوا يمتنون بمائل الإلهيات أكثر مما عنى بها أهل حران والبصرة ، فقد كان ميل هؤلاء متجها إلى الفلسفة الطبيعية (٤)

وكل حديثنا السابق أو جله كان يدور حول فلسفة الفارابي ، ولكن كم لهذا الرجل الفاضل من مزايا أخرى يجدر بنا الوقوف عندها ، فها عبقريته في الموسيقى التي أشار إليها (دي بوير) وقد قال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء إن الفارابي كان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها إتقاناً لا مزيد عليه ، ويذكر أنه صنع آلة غربية يسمعونها ألحانا بديعة يحرك بها الآلة - آلات . وقال (كارادفو B. Carra De vaux) في دائرة المعارف الإسلامية: وكان الفارابي موسيقارا مرموقا ونحن مدينون لقلبه في تديجحه رسالة ذات أهمية بالغة في الناحية النظرية من الموسيقى الشرقية ، وكان هو بنفسه موسيقارا فنانا هاويا وفنانا مؤلفا ، وأن نبوغه أثار إعجاب سيف الدولة الحمداني ، وأن الدرايش الرولية لا يزالون يرتلون الأناشي القديمة المنسوبة إلى الفارابي (راجع مادة Farabi - AI من دائرة المعارف الإسلامية) ويقول زكي على نحت عنوان (أوروبا مدينة للحضارة الإسلامية) من رسالة نشرتها دار المكشوف في بيروت باسم (أوروبا والإسلام) - وسام المطربون والموسيقيون العرب في تقدم الفن الغنائي ونحسين آلة الطرب . وبمود الفضل إلى الفارابي (من القرن العاشر الميلادي) في القضاء على النظريات الموسيقية القديمة ، وفي تفسير الإيقاع وكيفية وصول الأنغام . وقد اخترع الموسيقيون العرب الموسيقى الموقمة . وعندهم أخذت شبه الجزيرة الأيبيرية وبالتالي أوروبا كلها آلات الطرب ؛ ومنها العود والرباب والقيثارة والطبل . ويظهر أن بعض فلاسفة العرب كان يملك اطلاعا واسعا وغريبا على الموسيقى وأثرها في الإنسان . وقد كانوا يستخدمونها في الطب وتنفق عليهم في هذا الباب قصص نقف

(٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام لدى بوير

(٥) دائرة المعارف الإسلامية في مادة الفارابي

(٦) أوروبا والإسلام في سلسلة الثقافة السياسية من منشورات دار

الدور الثاني في الأسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم الفصحى :

ذهبت إلى مدرسة محمود فهمي القراشي باشا النموذجية الابتدائية بمحاذيق القبة ، وبى شوق إلى رؤية تلاميذها وسماعهم يتحدثون باللغة العربية الفصحى ؛ وكان هذا هو الداعي إلى زيارتي للمدرسة ، وكأني بدأت أن أسمع العربية في التخاطب بين الكبار وفيهم من تلقى من خواص التلمين والتمقيين ، فشافني أن أجد طلبتي لدى أولئك الصغار الفصحاء ...

كنت على موعد مع ناظر المدرسة الأستاذ عبدالفتاح النياوي الذي تفضل فرح بهذه الزيارة ، وأخذت مكاني في حجرة الناظر ، وكان هناك الأستاذ عبد الحميد السيد الفتش العام للغة العربية بالمدارس الابتدائية ، وبعد قليل دخل الحجرة تلميذ صغير لا يبلغ الماشرة من عمره - دخل هذا التلميذ يقول :

أين حضرة الفتش ؟

لتمكيره والإعزاء به (٧) وقد أسف الكندي طلبه وقام بما تقدم ذكره استجابة لداعي الإنسانية ، وما تحتمه آداب مهنة الطب المقدسة. وتنقل عن الفارابي قصص مماثلة في الموسيقى معروفة وبعد فقد أطلنا الحديث عن أبي الفيلسوف الإسلامية ومؤسسها ومشيد مدرستها الأول (العالم الثاني) وأرى أن تقطع الحديث مؤقتاً ، وإن بقيت لدى سبابة في الكأس وعمالة ترجى عرضها إلى عودة ثانية للموضوع فإلى اللقاء

ضياء الرفيلى

تم البحث

(٧) أخبار الحكماء للفنطى التوفى سنة ٦٤٦ هـ في ترجمة الكندي ٢٤٦ وقد ذكر له من كتبه في الموسيقى رساله الكبرى في التأليف ، كتاب ترتيب النغم ، كتاب الدخول إلى الموسيقى ، رساله في الإيقاع ، رساله في الأخبار عن صناعة الموسيقى ، كتاب في خير صناعة الصغراء ، وقد عد الفنطى كل هذه الكتب في كتبه للوسيبان ، ولله درس الشعر في الكتاب الأخير من الناحية الموسيقية

قالما بنبر عربي جميل ، فشغلت بتأمله في إجاب ، وكأني
التفت أول ثمرة من هذه الدوحة ، وهنئ له الفتش وأجابه :

— أنا ...

— كلفني الأستاذ ... أن أحضر لك هذه الكراسات

ودلفت في محبة الأستاذ أحمد عبيد إلى إحدى حجرات
الدراسة ، وكان التلاميذ في زناط ، فقال الأستاذ رافعاً صوته في
لهجة المعلم الحازم الحاني :

ما هذا ؟ إني أسمع لفظاً يا شريف

قال شريف — وهو « بوليس الفصل » — إن هذا التلميذ
يزعق .. فهض تلميذ آخر ليضبط الشرطى متلبساً بالخطأ ...
قال : إنه أخطأ إذ قال : « يزعق » ويجب أن يقول « يصيح »
والمدرسون يجتهدون في تعريب ما يرد على السنة التلاميذ
من الكلمات العامية ، أو بمباراة أخرى يردونها إلى أصلها العربي
فيبرون على النهج التربوي في الانتقال من المعلوم إلى المجهول ،
فهذا التلميذ يعمل « غلبة » وبنقاش قليل تقاب الذين جيا فتصير
« جلبه » وذلك التلميذ يصر على دعواه قائلاً : « هذا الهم « بتاعى »
ولا بأس أن يكون القلم متاعه ...

ومهد الأستاذ لأن يتحدث التلاميذ ، فوصف أحدهم
الاحتفال بـ « سبوع » أخيه المولود ، فكان مما قاله : وأمسك
أحد الدهوين بالهاون وجعل يدهقه ويخاطب الطفل : سمع كلام
أبيك ... اسمع كلام أمك ... قال التلميذ : فضحكت لأن هذا
كلام ليس له معنى ا

وحدثنا آخر عن قضية مرا كمش حديث العام الواعي ،
ولحظات حماسة في الكلام فقلت له : وماذا يسينك من الاعتداء
على مرا كمش ؟ أجاب : لأنها بلاد عربية إسلامية مثل بلادنا
يؤلنا ما يؤلها ...

وتحدث تلميذ عن المجتمع المصري وسوء حاله ، فتمت أفكار
التلاميذ واشتدت المناقشة بينهم ... سأل أحدهم : أليس الشعب
يحكم نفسه ؟ قال المتحدث : بل ، ولكن البرلمان يتكون من
الأغنياء الذين يشتررون أصوات الناخبين ... وسأل آخر : مادام
الأمر بيد الأغنياء الذين لانهمهم مصالح الناخبين فما العمل ؟